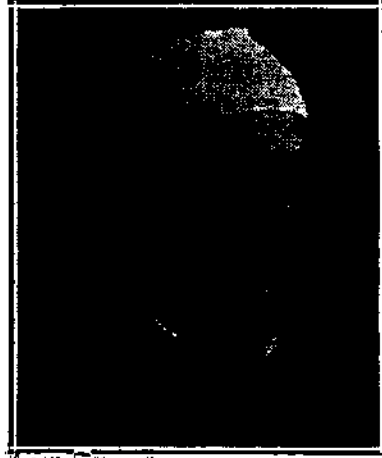


صديق من صنوف الأعداء

للاستاذ أمين الخولي

- ١ -



سرت القرون ترى ،
والغرب يرمى الشرق بأفلاذ
أكباده، ويرصد كيد أنفـس
عتاده، ويبسج لقتله غطاريف
أجناده ، والشرق صامد
باسل، صابر على هذا البلاء
النازل . . . يا عجبا ! هما
يتنازعان قبراً ، وإن يكن
لسيد الحوارين ، وكلاهما
يؤمن أنه مرفوع، وفي السماء

قار . ليس في الأرض مرقده ، ولا بين أطباق الثرى جسده . ولولا
دفع الله الناس بعضهم لبعض لفسدت الأرض . حكمة الله وسنة الاجتماع
لتصل الأسباب ، وتم التواميس ، وتنمو الحضارات ، وتتواصل المدينيات
في القرن الثالث عشر الميلادي ، وهذا الاتون لما بمحمد ،
بؤجج الحقد أواره ، وبثورت البغض ناره ، كانت تداني قلوب بهذا
التباعد ، وتعارف نفوس بالتقاطع السائد ، ويأني الله إلا أن يكون
هذا الكون خيراً شيب بشر ، وشرأ حمل خيراً ، وأن تكون
الحرب ناراً ونوراً

- ٢ -

كان جرمانياً صليبي ، أوربياً محضاً ، غريباً صرغاً ؛ البابا وصيه
وهو صغير ، والبابا مدبره وهو كبير ؛ نشأ في حضن المسيحية ،
وغذاء حب الكنيسة الكاثوليكية ، وبورك بها طفلاً ، وفقى وزوجاً
وأباً ، كما توج بها ملكاً وأيد منها ، فبسط يده أمام المذبح يقسم أن
يسير إلى الشرق غازياً ، ويخلص قبر المسيح قادياً ، ويعز النصرانية
في شرقها والغرب ؛ ذلكم فردريك الثاني هو هنشتاوفن ، امبراطور
الدولة الرومانية المقدسة ، ومالك صقلية - ١٢١٢ - ١٢٥٠ م -

- ٣ -

لكن الشرق الساحر ، بسنه الباهر ، ومجده الزاخر ، وعقله

المختلفة المتباينة مزجاً ربما لم يعهده تاريخ الفلسفة ولا تاريخ
التصوف في أي أمة أخرى ، وخرجوا بعد كل ذلك بمذاهب في
التصوف الفلسفي كان لها أثرها ولها خطرهما في تطور الفلسفة
والتصوف في القرون الوسطى والحديثة ، لا سيما بعد أن بلغ
التصوف الذروة الفلسفية في مذاهب أمثال محي الدين بن عربي ،
وشهاب الدين عمر السهروردي المقتول ، وعبد الحق بن سبعين
الاندلسي ، وعبد الكريم الجيلي ، والصدر القونوي ، وجلال
الدين الرومي ، وعبد الرحمن جامي وغيرهم

من هذا يتبين أن كل نظرية في نشأة التصوف الاسلامي قائمة
على فكرة إرجاعه إلى أصل واحد مقضى عليها بالفشل . إذ قد
رأيت النواحي العديدة الاسلامية وغير الاسلامية التي استمد
منها التصوف مادته .

ولكن بعض المستشرقين إن لم يكن أكثرهم لم يروا حرجاً
في القول بأن التصوف الاسلامي قائم على أصل واحد أو مستمد
من جهة واحدة : فذهب الأستاذ فون كيرمر ودوزي إلى أن
أصل التصوف الاسلامي هندي أساسه مذهب الغيدانتا ؛ وذهب
الأستاذ « مركس » إلى أن أصله الفلسفة الأفلاطونية الجديدة ؛
وقال الأستاذ برون إنه فارسي في جوهره وإنه نتيجة لرد فعل
أحدثه ثوران العقل الأدي ضد الدين الاسلامي الفاتح .
وربما كان الأستاذ نيكلسون أكثر اعتدالاً وأوسع نظراً من
هؤلاء جميعاً ، إذ يعترف أن التصوف الاسلامي ظاهرة معقدة
غاية في التعقيد ، وأن أصوله متشعبة كثيرة لم يكشف البحث
الحديث إلا عن بعضها فقط

والحق أن كل نظرية من هذه النظريات إنما تعبر عن جزء
من الحقيقة لا الحقيقة برمتها ، وأن الذي دعا هؤلاء المستشرقين
إليها قصرهم النظر على ناحية خاصة من التصوف دون النواحي
الأخرى وملاحظتهم لبعض جهات الشبه بين التصوف الاسلامي
والاحوال التي قالوا إنه مستمد منها ناسين أو متناسين الثقافة
الاسلامية والعقلية الاسلامية التي هضمت كل ما وصل إليها من
عناصر الفلسفة والتصوف الأخرى ، واستخلصت لنفسها فلسفة
وتصوفاً جديرين بالبقاء وجديرين بأن يطلق عليهما اسم الفلسفة
الاسلامية والتصوف الاسلامي

أبراهيم عفيفي

- ٦ -

كان شرقى الوجدان ، غمره فيض الشرق الروحي ، ونزوعه الصوفي فلم بأسره تلقينه ، ولم يعقله تعميده ؛ بل كان وراء ذلك كله : دخل بيت المقدس - حفظا لناموسه - برضا الملك الكامل صلحا لجامله المسلمون بمنع الأذان ، وإذا هو يقول : والله كان غرضي في المبيت بالقدس أن أسمع أذان المسلمين وتسيحهم في الليل (١) . وإذا المسلمون يحسون تساعه ، فيقول مؤرخهم : إنه كان دهرها ، وإنما يتلاعب بالنصرانية . وحقا قد عرفت منه الكنيسة أشد ما عرفت في تاريخها من ثورة وفضال

- ٧ -

تلك شخصية خلقة بالدرس الفلسفي والتاريخي ، رجل أنقذ العقل إذ الجبل حالك ، والظلام قائم ؛ وحرر الوجدان إذ العصية طاغية باغية ؛ وعرف الاسلام وتجب إليه إذ أنكره الغرب وقائله جاهداً جاهلاً ، وأخلص له الصداقة حتى لقبه قومه « السلطان المعتمد » (٢) . إلا أنه فضل الشرق ومثله لا يبعد ، وأنه يجد الشرق ومثله يعشق ، وأنه عرف الشرق ومثله لا يجهل

- ٨ -

أيها الشبان : تلك فتنة الشرق ، فهل تقفان فيكم ؟؟
أيها الشبان : تلك روحانية الشرق ، فهل خسرانكم بكم ؟؟
أيها الشبان : تلك قوة الشرق ، فهل أضلنا عندكم ؟؟
الآ. أجيئوا داعي الزمن المثوب !

أمين الحق

(١) السلوك : الموضوع العايق ص ٢٢٧

(٢) دائرة المعارف الإيطالية الجديدة - المادة السابقة

تاريخ الأدب العربي

للمؤلف أحمد حسن الزيات

الطبعة السادسة

في حوالي ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط
يعرض تاريخ الأدب العربي منذ نشأته إلى اليوم
في صورة قوية تحليلية رائعة
ثمته عشرون قرناً ويطلب من إدارة الرسالة
ومن لجنة التأليف ومن سائر المكاتب

القاهر ، وفنه الفاخر ، قد قنن الأنبرور على غريته ؛ واستهواه في أوربته ، وأصابه على جرمانيته ، فإذا العاهل شرق في هواه وميله ، شرق في علمه وفنه ، شرق في مزاجه وذوقه ، شرق في خاصته وجنده ؛ وإذا هو لا يبر للكنيسة بقسم ، ولا يني بموعد ، . . ثم إذا هو حرب على صاحب مقابيح الجنة ، يتبكت حرمة ، ويحققر قداسه ؛ يرفع على رأسه سيفه ، بدل أن يحني أمامه رأسه . وإنها لمفارقة سجلها التاريخ دهشا - ٤ -

كان ذوقه شرقياً ، في جده ولعبه ، في قصره وحاشيته ، في مركبه وسلاحه ؛ يدبر ذلك من أمره أتباع شرقيون مسلمون ، قد حكى في ذلك ما عرف الشرق من قصور الخلفاء ، حتى ما أفرد ، من مقاصير النساء (١) أنس إلى الفن الشرق صامته وناطقه ؛ تجرى حياته على أنماط وعادات شرقية (٢) تحرسه أجناد من بني الشرق المسلمين (٣) يجيد العربية فيما يعرف من لغات حتى يتكلمها ويدرس بها (٤) وكم وراء ذلك من مظاهر فنية ، وولع شرق ليس أقل من هذا شأنه ولا أيسر خطراً

كان عقله شرقياً ، أثر الثقافة العربية على الثقافة اليونانية (٥) وعمل على اكساب غربه من ذلك ما يصل إليه جهده ، ففتح التفكير العلمي لعصره اتجاهاً جديداً ؛ وكان أقوى وأقدر من عرف الغرب في حركة نقل المعارف عن الشرق في تلك الأعصر ؛ وفي كنفه نشط مترجمون من أنحاء أوروبا المختلفة ، لنقل ما حفظ الاسلام من تراث الانسانية ، وذخر المدينة

ونسى أو تناسى ما بين الشرق والغرب إذ ذاك ، من حروب مشبوبة ، وعداوة مذكاة ، فراسل ملوكه في الود ، وفي العلم ، يسألهم فتاوى الرياضة ، وفنون الحكمة ، سواء في ذلك داني الشرق منه ، وقاصيه عنه ؛ فكتب إلى علماء سبته يسألهم في شئون فلسفية ، رد عليه فيها ابن سبعين أبو محمد عبد الحق بن ابراهيم الاشيلي (١) ، كما كتب إلى الملك الكامل بمصر في مسائل مشكلة من الهندسة والحكمة والرياضة ، ورد عليه الشيخ علم الدين قبصر الحنفي وغيره من علماء مصر (٢) : التي كانت تلتقي هجمات الغرب ، وتلفته أصول الحياة في وقت واحد

(١) دائرة المعارف الإيطالية الجديدة - فريدريك الثاني هونشتاوفر -

(٢) المصدر السابق

(٣) تراث الاسلام ج ٢ خلية ٢ ص ٢٢

(٤) الدائرة السابقة

(٥) الدائرة المذكورة

(٦) دائرة المعارف الإسلامية - ابن سبعين -

(٧) السلوك : الميريزي و القسم الاول من الجزء الاول ص ٢٢٩